تأميم قناة السويس

والعدوان الثلاثى علىمصر

تأميم قناة السويس : أي نقل الملكية من الحكومة الفرنسية إلى الحكومة المصرية مقابل تعويضات تمنح للأجانب.

وقد تم ذلك في عهد الرئيس المصري جمال عبد الناصر وذلك في ٢٦ يوليو عام ١٩٥٦. وذلك بسبب رفض البنك الدولي تمويل الحكومة المصرية لبناء السد العالي. وكان تأميم قناة السويس سبباً للعدوان الثلاثي الذي قامت به بريطانيا وفرنسا والكيان الصهيوني علي مصر.

كان قرار الرئيس جمال عبد الناصر بالتأميم هو رد مباشر على الإهانة التى وجهها البنك الدولي والدول الغربية الكبرى برفضها تمويل مشروع السد العالي . فجاء القرار تأكيداً لحرية مصر في اتخاذ قرارها الدولي وحرصها علي قدرها ومكانتها .لقد أطلق هذا القرار مشاعر جارفة من الانتماء علي المستويين المصري والعربي. وبرز الدور القائد لمصر في المنطقة العربية، وارتباط الشعوب العربية بها. وأثبت اتضاح قدرة مصر السياسية والدبلوماسية وطرحها لموقف قانوني يتسق مع قواعد القانون الدولي العام. فقد أكدت مصر التزامها الكامل باتفاقية القسطنطينية لعام ١٨٨٨ بشأن حرية الملاحة في قناة السويس .

لقد أدى قرار تأميم شركة قناة السويس، وما ترتب عليه من تبعات انتهت بالانتصار الدبلوماسي لمصر ضد قوى العدوان الثلاثي إلي عدة نتائج

أبرزها تدعيم الاستقلال الداخلي لمصر، وتأكيد حريتها في اتخاذ قرارها السياسي، وتراجع الاستعمار من شبه الجزيرة العربية والخليج العربي حيث كانت السويس هي النقطة الفاصلة والحاسمة في حركة تحرر المستعمرات في أفريقيا وأمريكا اللاتينية. أضف إلي ذلك التحول في خريطة النظام الدولى، حيث غربت شمس الامبراطوريتين البريطانية والفرنسية، وظهرت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي كقوى عظمى .

ومن الدروس المستفادة من قرار تأميم قناة السويس بروز قدرة المصريين علي إدارة الأزمات بكفاءة وفعالية حيث مثل تنفيذ القرار نموذجاً مبهراً في دقة التخطيط والتنفيذ. وخلافاً لما توقعته الدول الغربية، فقد أثبتت مصر قدرتها على إدارة القناة بحيث لم تتوقف الملاحة فيها يوماً واحداً، وتم تبني عدة إجراءات لتلافي مشكلة انسحاب جميع المرشدين والموظفين والعمال الأجانب العاملين في شركة قناة السويس عدا اليونانيين من أجل الضغط علي الحكومة المصرية وإثبات عدم استطاعتها إدارة القناة .

لقد عمدت القيادة السياسية المصرية آنذاك إلي القيام بعدة إجراءات كان من شأنها النجاح في إدارة الأزمة المترتبة علي قرار التأميم، كان أولها الخداع الاستراتيجي للخصوم حيث لم تتوقع إدارة شركة قناة السويس قرار التأميم بعد أن أكد الرئيس جمال عبد الناصر لهم في أكثر من مناسبة أنه لا يوجد أدنى احتمال لتأميم الشركة، وإن كل دراساته تهدف إلي تسلم الشركة حينما ينتهي امتيازها عام ١٩٦٨.

وتمثل ثانيها في عنصر السرية الشديدة في اتخاذ القرار سواء في مرحلة التحضير أو في مرحلة استكشاف الاحتمالات والمخاطر أو في مرحلة التنفيذ، فلم يكن عدد الذين يعلمون بقرار التأميم حتى مساء يوم ٢٦ يوليو يزيد على عشرين شخصاً من أقرب مساعدي الرئيس، وذلك بحكم دورهم في عملية إعداد مشروع التأميم أو في تنفيذه.

وكان ثالثها الاعتماد على عنصر المعلوماتية، حيث لم يلجأ الرئيس جمال عبد الناصر إلي مصدر واحد لجمع المعلومات والتحضير لإدارة الشركة، وإنما اعتمد علي عدة أجهزة أهمها مكتب شئون قناة السويس، ومكتب مندوب الحكومة لدى الشركة، وإدارة الأبحاث بوزارة الخارجية، وإدارة التعبئة بالقوات المسلحة، وغير ذلك من الأجهزة المعنية. وأخيراً، إدارة الصراع بصورة متوازنة تعتمد علي حشد الأصدقاء وتفتيت ما يقوم به الخصوم من محاولات .

إن الثقة بالنفس والاعتماد علي عناصر القوة الذاتية هي أحد أهم الدروس التي يجب أن نستذكرها عند الحديث عن تجربة تأميم قناة السويس بوصفها الحد الفاصل بين النصر والهزيمة.

خطة أشتراك الدول الثلاثة فى الحرب

كانت هناك خطتين موضوعتين عن مكان انزال قوات الغزو..

الأولى الاسكندرية .. وكان هناك رأيين أحتلال مصر عن طريق الأسكندرية لإسقاط الحكم الثوري القائم بها والعملية بالتالي عبارة عن

غزو بحري للاسكندرية تتلوه معركة علي الاتجاه الاستراتيجي الاسكندرية ــ القاهرة يتم فيها تدمير القوات المصرية.. وبعد ذلك تحتل قوات الغزو القاهرة.. وأخيرا تغلب الرأي القائل بأن الاسكندرية هي أنسب مكان لانزال قوات الغزو..

والثانية بورسعيد.. واصبحت أوأحتلال منطقة قناة السويس فقط ثم تطوير الغزو بعد ذلك ويشمل القاهرة إذا ساعدت الظروف .

فى صباح٢٧ يوليو١٩٥٦ م ــ بدأت حرب السويس أي في اليوم التالي مباشرة لاعلان الرئيس جمال عبد الناصر لتأميم قناة السويس ــ وذلك عندما جمع سير أنتوني ايدن ــ رئيس بريطانيا وقتها ــ رؤساء اركان حرب المملكة المتحدة وطلب منهم: اعداد خطة لعمل عسكري يستهدف انتزاع القناة من مصر.. واسترداد الهيبة البريطانية الضائعة في الشرق الأوسط..

وعلي هذا الأساس وضع رؤساء أركان حرب الإمبراطورية خطة الغزو باسم' العملية٧٠٠' وهي تدخل في نطاق الحروب المحلية المحددة. وفي اغسطس عرضت هذه الخطط علي سير ايدنكانف فرفض الخطة الأولى التى تقضى أحتلال الأسكندرية إذ انها تقتضي احتلال مصر كلها الأمر الذي سيستغرق وقتا طويلا.. بينما كان سير ايدن يرغب في توجيه ضربة حاسمة سريعة.. وفي هذا الوقت عرضت فرنسا مساهمتها الكاملة وأبلغت بريطانيا أنها علي استعداد لتقديم قوات بنسبة٣:٥ وقبل إيدن اشتراك الفرنسيين بأمل تحقيق عاملي : الحسم والسرعة.

وفي هذه المرحلة عرضت فرنسا علي بريطانيا فكرة إشراك إسرائيل في الغزو.. وكان السبب في حماسة فرنسا لهذا هو العداء العربي لسياستها الاستعمارية في شمال افريقيا وبزوغ المقاومة الجزائرية ومن ثم فقد بدأت فرنسا تلقي بالتبعة علي مبادئ القومية العربية وتعتقد أن القاهرة هي الموجهة والمثيرة للعداء العربي وحاملة راية التحرر والحرية ولذلك كله تلقفت اسرائيل الفرصة وأخذت تقترب من فرنسا وتبارك المشاعر الخبيثة التي تولدت في فرنسا وتؤكد انها ركيزتها وسندها الأول في الشرق الأوسط.

وعندما عرضت فرنسا علي بريطانيا اشراك اسرائيل رفض سير ايدن حرصا علي المصالح البريطانية الكثيرة في العالم العربي. وقدم البريطانيون الي الفرنسيين خطة' العملية ٧٠٠' فوافق عليها الفرنسيون..

واتفقت الدول الثلاث علي أن يتولي الجنرال تشارلس كيتلي (الانجليزي) القيادة العامة للحملة بينما يتولي الأدميرال الفرنسي بارجو منصب نائب القائد العام.. وبالمثل اتفق علي أن تكون القيادة للبريطانيين والنيابة للفرنسيين في كل فرع من أفرع العمليات والخدمات والقوات.. وتقرر ان تنتهي الاستعدادات ويبدأ الهجوم في منتصف سبتمبر وسميت الخطة بإسم هاميلكار .. وأخذت القوات البريطانية والفرنسية تتجمع فى قاعدتي الغزو في:' مالطة وقبرص' كما أمرت القوات بأن تضع' حرف: هـ ـH حتى يتعرفون على بعضهما البعض فى الحرب وهو الحرف الأول من اسم هاميلكار فوق خوذها وعلي اسطح عرباتها وطائراتها.. وقبل أن يجف

الطلاء صدرت الأوامر بتغيير الخطة' هاميلكار' الـــي الخطـــة موســـكتير. الخطة موسكتير

لقد بنيت الخطة موسكتير علي نفس أسس الخطة هاميلكار من ناحية التصميم علي أن تكون الاسكندرية هي مكان الغزو وأيضا علي ان يكـــون ميعاد الغزو يوم١٥ سبتمبر الا ان خطة موسكتير فاقت في تفصيلاتها خطة هاميلكارمع ضرورة توفير السيطرة الجوية بمهاجمة المطارات المـــصرية أولا وقبل أن يبدأ الغزو بيـــومين ثـــم علـــي ضـــرب مينـــاء الاســـكندرية بالاسطولين الانجليزي والفرنسي في يوم الغزو وانزال قوة مظلات يتلوهـــا انزال القوات البرية المشتركة.. وكان الهدف الرئيسي أيضا وهو إحـــتلال القاهرة بعد تدمير القوات المصرية وبالتالي اسقاط نظام حكم جمـــال عبـــد الناصر.

وفي١٥ أغسطس أقرت الحكومتان الخطة وبدأتا في إرسال القوات.. ولكن دب الخلاف بين البريطانيين والفرنسيين حيث أراد الفرنسيون القيـــام بهجوم شامل مفاجئ بينما رغب البريطانيون في ان يكون الأســـلوب هـــو الأسلوب التقليدي البطئ !

متي اشتركت إسرائيل؟

ولكن كان فرنسا عندها خطة حربية جيدة عن فكرة خطة موســـكتير وهى اسرائيل الحرب فيسهل استدراج الجيش المصري الي ســـيناء الأمـــر الذي يخلق فراغا في منطقة طرفى القناة وبذلك يمكن للقـــوات الانجلـــو ـــ فرنسية سرعة احتلال القناة وحصار القـــوات المـــصرية بـــين المطرقـــة

والسندان.. وفي نفس الوقت يخلق اشتراك إسرائيل سبباً لتدخل للدولتين اللتين ستظهران كأنهما ترغبان في تأمين منطقة القناة والفصل بين المتحاربين!

فوافقت بريطانيا علي إشراك إسرائيل.. وذلك في المؤتمر الذي عقد بلندن يومي١٠ و١١ سبتمبر وألغت الخطة موسكتير وأعدوا خطة موسكتير المعدلة حيث مكان الغزو بورسعيد وليس الإسكندرية يتلوه زحف مشترك نحو الإسماعيلية ومن ثم تتجه القوات البريطانية الي' ابو صوير' بينما تتجه القوات الفرنسية الي السويس. وبعد ذلك يوجه الطرفان ضربة واحدة قوية إلى القاهرة.. وكان علي إسرائيل أن تقوم باستدراج القوات المصرية إلي سيناء ثم تدميرها هناك بمعاونة القوات الجوية الإنجليزية والفرنسية.

وفي١٨ سبتمبر أستلم الخطة بن جوريون فى تل أبيب وانتهز الفرصة وسرعان ما طالب بدعم حربي ليواجه بها الجيش المصرى.

وفي٢٠ سبتمبر تمت الموافقة علي ذلك وأصبحت الخطة تعرف باسم الخطة موسكتير المعدلة النهائية.

وفي٢٢ أكتوبر طار بن جوريون لباريس حيث أخذ يطالب بضمان علي شكل معاهدة يوقعها الأطراف الثلاثة.. وفي يوم٢٤ أكتوبر ــ بعيدا عن العيون ــ بعد رحلة سريعة تسلك الطرق والشوارع المهجورة مضي رفقاء الحرب الي سيفر احدي ضواحي

باريس يناقشون الخطوط النهائية فى الخطة موسكتير المعدلة النهائية. ثم وقعوا المعاهدة وتحمل ذات الاسم..

ومن الخطة العسكرية تتضح الأهداف السياسية والتي يمكن اجمالها في الآتي:.

١. الاستيلاء علي قناة السويس
٢. إبادة القوات المسلحة المصرية ومعداتها.
٣. القضاء علي الحكم الثوري في مصر والسيطرة علي العرب.

علي هذا النحو إذن كان دور الغزاة.. وكانت أهدافهم من القتال فإذا نظرنا إلي المجهود المصري فإننا نجد أن القتال دار خلال٤ مراحل استراتيجية.

المرحلة الأولي:

مرحلة حصر العدوان الإسرائيلي المدعم بالجهود الجوية والبحرية الانجليزية – الفرنسية وقد استغرقت هذه المرحلة٤٧ ساعة بدأت في الخامسة مساء يوم٢٩/١٠ وانتهت في الرابعة مساء يوم٣١/١٠ وفيها نجحت القوات المصرية في حصر العدوان و تثبيته و استعدت لتدمير قواته نهائيا تمهيدا لنقل المعركة إلي قلب إسرائيل ذاتها.

المرحلة الثانية:

مرحلة النضال من اجل تحقيق التوازن الاستراتيجي في مسرح العمليات. وقد استغرقت٨٦ ساعة بدأت في الساعة الرابعة مساء

يوم١٠/٣١ عندما تكشفت نوايا العدوان وانتهت في السادسة صباح يوم١١/٤ وخلالها صدر قرار توحيد الجبهة المصرية غرب السويس في الوقت المناسب لتحقيق الاتزان الاستراتيجي وتركيز قوي النضال في مثلث (بورسعيد ــ السويس ــ القاهرة).

المرحلة الثالثة:

مرحلة الصراع في اتجاه المجهود الرئيسي وقد استغرقت٦٨ ساعة من السادسة صباح يوم١١/٤ حتي الثانية صباح يوم١١/٧ وكان الصراع المسلح فيها بين القوات البريطانية والفرنسية من جهة وبين القوات المسلحة المصرية, وقوي النضال الشعبي من جهة أخري, وكان القتال دفاعا عن العقيدة والأرض تحت شعار' الحرب من بيت إلي بيت'

المرحلة الرابعة:

مرحلة فشل العدوان الثلاثي وقد استغرقت١٢٠ يوما بين٧ نوفمبر سنة١٩٥٦ ــ وقف اطلاق النار ــ وبين٦ مارس١٩٥٧ نهاية الانسحاب, و تميزت هذه المرحلة بصمود الإرادة الممثلة في الإنسان المصري و تحفزه متأهبا لآي طارئ.

هذه هي مراحل القتال من وجهة النظر الإستراتيجية المصرية.. وهي ــ هنا ــ مقدمة نبدأ بعدها في يوميات القتال ــ الذي استمر٢٠١ ساعة ــ والمهم كيف جري.

اختارت القيادة الاسرائيلية منطقة' صدر الحيطان' بسيناء لتبدأ فيها أولي عملياتها تنفيذا لدورها في اتفاق' سيفر'.. ولقد أثير في هيئة الأركان الاسرائيلية أن' صدر الحيطان' بعيدة عن القواعد الاسرائيلية.. وهي في ذات الوقت قريبة من القواعد المصرية(نحو٦٥ كيلومترا من القناة) كما انها تحت أنف مطار كبريت المصري(نحو٧٠ كيلو مترا) لكن ديان رد بأن المهمة هي: جذب الجيش المصري إلي أعماق سيناء و ترك قلب الدولة المصري خاليا من القوات

وفي ذات الآن: خلق صراع مسلح علي مشارف القناة.. كذلك فإن الهجوم سيكون تحت حماية مظلة جوية فرنسية علما بأن منطقة' صدر الحيطان' خالية من القوات المصرية.

وعلي هذا الأساس انطلقت في الساعة الخامسة من بعد ظهر هذا اليوم(١٠/٢٩) أو بالضبط قبل تمام الخامسة بدقيقة و احدة١٦ طائرة داكوتا منتظمة في٤ تشكيلات كل منها يحمل سرية من جنود المظلات واتجهت إلي الهدف الا أن الطيارين ــ طبقا ليوميات ديان ــ' اخطأوا وأسقطوا الجنود بالمظلات شرق المكان المحدد بخمسة كيلو مترات' علي أي حال لقد هبطت القوة وهي تضم٣٩٥ فردا بأمتعتهم وأسلحتهم ومعداتهم وهؤلاء يشكلون الكتيبة٨٩٠ مظلات ثم سار الجنود علي أقدامهم مسافة الخمسة كيلومترات التي أخطأوها فوصلوا مكانهم المحدد في الساعة السابعة و النصف مساء.. و في الساعة التاسعة مساء أسقطت لهم الطائرات كمية من الامدادات وذلك قبل أن تأتي الطائرات الفرنسية المتعاونة وهي من نوع نورد أطلس لتلقي في الواحدة بعد منتصف الليل

امدادات جاءت بها من قاعدة قبرص وهي عبارة عن٨ عربات جيب و٤ مدافع عديمة الارتداد١٠٦ مم ومدفعين هاون١٢٠ مم وصناديق الذخيرة اللازمة.

هذا وقد صدرت الأوامر لهذه الكتيبة بالتحصين في موقعها بمنطقة" صدر الحيطان" دون أن تتقدم او تتحرك حتي لا تتورط في قتال مع القوات المصرية و في العاشرة من مساء ذات اليوم ــ٢٩ أكتوبر ــ تحرك اللواء٢٠٢ مظلات الاسرائيلي عبر الحدود المصرية عند الكونتيلا بهدف مساندة كتيبة المظلات التي اسقطت في صدر الحيطان.

خلال هذا الوقت وعندما أيقنت قيادة المنطقة الشرقية المصرية من بدء العدو عملياته الغادرة أصدرت أوامرها بالسيطرة علي ممر متلا وسرعة القضاء علي القوة المعادية المسقطة مع تعطيل تقدم القوات البرية المعادية التي تنضم إلي القوة المسقطة وقد كلف بالمهمة الأولي اللواء الثاني المشاة" كتيبة مشاة" أما المهمة الثانية فقد كلف بها الآلاي الثاني حدود كما أمرت قيادة المنطقة الشرقية المصرية: قوتها الاحتياطية بالاستعداد لعبور قناة السويس والتحرك غربا بهدف القضاء علي قوات العدو الاسرائيلي.

وفي الساعة الحادية عشرة بدأت وحدات اللواء الثاني المشاة المصري في عبور القناة متجهة إلي صدر الحيطان عبر ممر متلا.. وقد استغرقت عملية العبور وقتا طويلا اذ لم تنته الا في الساعة الثالثة بعد ظهر اليوم التالي١٠/٣٠ .